



# الأحرار اليمنيون رفعوا لواء التجديد والتغير والثورة على سلطات الإمام يحيى الاستبدادية

## نعمان والزييري شكلا « حزب الأحرار اليمنيين » وبعدها « الجمعية اليمنية الكبرى »

.. كان بعض زملائي مثل الزبييري ، وزيد المشوكي وغيرهما يشكون نقس الشكوى لأنهم يشعرون مع الناس بكل هذا . فبدأ الإمام يرتاب على الرغم من أنه كان يوجد بينه وبيننا ود ومجاملات وإعجاب . ولكن حينما تأتي فكرة إصلاح ، كان ينفر منها نفورا كبيرا ، ينفر من أية فكرة إصلاحية أو من إبداء رأي . ويبدو أن الأستاذ نعمان ، والزييري ، وزيد المشوكي وغيرهم رؤوا أن محاولة التغيير في اليمن على يد ولي العهد أحمد باتت غير مجدية ولذلك قرروا الفرار إلى عدن التي كانت نافذة اليمن على العالم . والمتموجة بشتى التيارات الثقافية المختلفة . ومن هذه المدينة الساحرة الساحلية المتحكمة بمدخل جنوب البحر الأحمر ، رفع الأحرار اليمنيون الأستاذ نعمان ، والزييري ، وغيرهما لواء التجديد والتغير والثورة على سلطات الإمام يحيى الاستبدادية . وشكل الأستاذ نعمان ، والزييري « حزب الأحرار اليمنيين » وبعدها « الجمعية اليمنية الكبرى » ، وأصدرا مجلة « صوت اليمن » . وكانت تلك الأمور من الأسباب الرئيسية في التصعيد للحركة الدستورية سنة 48م في اليمن . وما عرضناه عن قصة حياة الأستاذ نعمان رائد الحركة الوطنية قليل من كثير الذي ضحي بكل غال ونفيس لتكون بلاده اليمن في مقدمة الأمم مثلما كانت في مقدمة الأمم في فجر أثار الحضارة الإنسانية .

سنة 1938م . وفي هذا الصدد ، يقول الدكتور سيد مصطفى سالم : « ... ظل موقف السيد عبد الله من مجلة موقف المثبني لها ليظهر بالمظهر المتحمر أمام الأحرار والمثقفين ، وجرهم إلى صفه المنافس لأخيه سيف الإسلام أحمد ... » . وفي موضع آخر ، يقول سيد سالم : « ففي الوقت الذي تحمس فيه السيد عبد الله لإصدار (« الحكمة » ) ، والتقرب من الشباب والمثقفين في صنعاء ، كان السيد أحمد يستقطب أيضاً في تعز الأدباء ، والشعراء ، والمثقفين ، الذين كانوا يجدون فيه — أو ياملون فيه على الأقل حينذاك — وجه المستقبل الأفضل ، فقد حول هناك أن يجعل من نفسه حارساً ومشجعاً للأدباء ، والمفكرين ، فأوى إلى مقامه ( أي ديوانه ) الكثير من اللامعين مثل المشوكي ، والحضرائي ، والفسيل ، والشامي ، والأستاذ نعمان ، والزييري ، والمعلمي ، والعنسي وغيرهم ، ولذلك لم يعارض ظهور المجلة ، بل تمنى لو صدرت بتعز » . ولقد انتهت قصة التنافس الحاد بينهما بصورة مأساوية عندما حاول سيف الإسلام عبد الله الإطاحة بالإمام أحمد من سدة الحكم ، ولكن فشلت محاولته ، وقتل بيد سيف أخيه أحمد ، وعرفت تلك الحركة بحركة الثلاثيا سنة 1955م .

### من عدن اندلعت حركة 48م

#### الهوامش :

- مذكرات أحمد محمد نعمان ، مراجعة وتحرير: الدكتور علي محمد زيد ، الطبعة الأولى 2003م ، مكتبة مديوني 6 ميدان طلعت حرب — القاهرة  
- دكتور سيد مصطفى سالم : مجلة « الحكمة اليمنية الكبرى » ، وأصدرا مجلة « صوت اليمن » . أبو الرجال، الطبعة الأولى 1425 هـ / 2004م ، وزارة الثقافة والسياحة — صنعاء — الجمهورية اليمنية .

قلنا سابقاً : أن ولي العهد أحمد بن يحيى — حينذاك — لم يكن حفيفاً ، وصادقا بإدخال إصلاحات جادة في اليمن لتكون في مصاف الدول العربية المتحضرة مثل مصر ، العراق ، وسوريا . وكان يخفي وراء حقيقته البشعة قناعاً من الزيف ، والأباطيل ، والكتاتورية . وفي الوقت الذي كان الناس يشكون الأمرين من الفقر والفاقة بسبب شحة الأمطار ، وحصار السواحل اليمنية من جراء الحرب العالمية الثانية ، كانت الضرائب تلاحقهم وتثقل كاهلهم ما كانت تزيد من الألام ، وفي هذا الصدد ، يقول : الأستاذ نعمان : «

مصر إلا أن صفحات المذكرات تصمتت عن الحديث عن تلك الفترة الهامة من تاريخهما أو عبارة أخرى عن البدايات الأولى في نضالهما في الحركة الوطنية. ومن المحتمل ، أن لقاء الأستاذ نعمان والزييري في مصر، كانت القاعدة الأولى والصلبة التي انطلقاً منها لخروج اليمن من النفق المظلم إلى الأفق الرحبة من التطور ، والتقدم. ومن اللافت للنظر، أن الشاعر الزبييري لم يأت ذكره على صفحات جريدة « الشورى » أو عبارة أخرى لم يذكر الأستاذ نعمان من قريب أو بعيد أن محمود الزبييري التقى بصاحبها ورئيس تحريرها أبو الحسن الطاهر ، وكتب في صفحاتها على الرغم أن الزبييري ، شاعر مجيد ، وكاتب كبير، وأديب بارع . وكيفما كان الأمر، فإنه من الأرجح أن الأستاذ نعمان ، والزييري ، قد قررا أن يوظفا اليمن من سباته العميق ، وينفضا عنه غبار الجهل ، والكسل ، والخمول . وكان ( دون شك ) يدركان خطورة ما هما قدامان عليه ولكن كان الهدف مقدسا وأسمى ، ولا بد من التضحيات من أجله بكل غال ونفيس .

### مخادعة إمامية

في سنة 1938م ، تولى ولي العهد أحمد إمارة تعز الذي سميصير إماماً في سنة 1948م ، بعد مقتل والده الإمام يحيى وفشل الحركة الدستورية ، وكان يقرب من الأدباء ، والمثقفين والمفكرين الذين يجلسون في مجلسه . وهذا ما أكده الأستاذ نعمان ، قائلاً : « كان يعزى الشباب ويستميلهم ويعزى الكتاب ، والأدباء ، والحقيقة لقد أثبتت الأيام أن ولي العهد لم يكن في يوم من الأيام حفيفاً بإدخال الإصلاحات في اليمن ، وكان يضيّق صدره بالرأي الآخر . والحقيقة أن هناك تنافس شديد بينه وبين سيف الإسلام عبد الله بن يحيى على جذب الأدباء ، والكتاب ، والمثقفين إلى جانبهما ، ولقد أكلت الغيرة قلب ولي العهد أحمد عندما أصدر السيد عبد الله الجريدة « الحكمة اليمنية »

الشبهات . وكان دائماً مؤمناً بأن المسألة اليمنية لن يحلها سوى أبنائها ولهذا السبب أو الأسباب دخل في خصومات حادة مع كبار المسؤولين المصريين ومن بينهم الرئيس أنور السادات الذي كان المسئول عن ملف اليمن ، وكان وقتها رئيساً لمجلس الأمة المصري والذي لم يكن يعرف عن عوامل اليمن الطبيعية والبشرية شيئاً . والحقيقة أن روح الأستاذ نعمان لم تكن روحاً متمردة من أجل التمرد ، وإنما كانت متمردة من أجل إرساء دعائم الحق ، والعدالة ، والحرية في تراب اليمن العزيز .

### مدرسة الحجرية

في حدود سنة 1935م ، أسس الأستاذ نعمان مدرسة الحجرية ، وكانت هذه المدرسة شعبة مضيئة في ظلام ليل اليمن الدامس . فقد كانت تدرس المواد التعليمية الحديثة من جغرافية تاريخ ، وحساب ولم تمض شهر معدودات حتى اشتهرت المدرسة في قرية ذبحان والقرى المجاورة لها وأقبل التلاميذ عليها من كل مكان . وترامت شهرتها أو قل إن شئت خطورتها إلى مسامع سلطات الإمام يحيى الاستبدادية فحامت حولها الشكوك من قبل سلطات الإمام بأنها تخرب عقول الصغار ، وتدمر نفوسهم ، وغرض القضاء على هذه المدرسة التي تدرس المواد العلمية على الطراز الحديث، أرسلوا الأمير القاسم بن الإمام يحيى حميد الدين ليطالع على حقيقة أوضاع المنهج التعليمي للمدرسة الحجرية . وكانت من نتائج زيارة الأمير القاسم، أن تم طرد الأستاذ حيدرة الذي تحدثنا عنه والذي بذر بذور المنهج التعليمي الحديث في مدرسة الحجرية أو عبارة أخرى فتح آفاقاً واسعة وجديدة في أذهان التلاميذ في قماء الحجرية بتعز . وفي هذا الشأن ، يقول الأستاذ أحمد نعمان : « وذهب ( أي الأمير القاسم ) إلى الإمام الذي أمر بسحب الأستاذ حيدرة فأخرجوه حالا ، وأتوا بمعلمين آخرين إلى المدرسة ، بعد هذا الحادث سحبت نفسي وقررت أن أذهب إلى الحج . وكانت بعثة مصرية ، قد جاءت إلى اليمن زارت بعض مناطق اليمن ، ووصلت إلى المدرسة ، وأعجبت بها وكتبت عنها، مستخلصا من خطيبون وبيدرشون وأعجبوا بهم » . وتتخلص من ذلك أن الأستاذ نعمان وجد أن أفضل وسيلة لمحاربة سلطات الإمام يحيى القمعية هو التعليم ، فهو أمضى سلاح وهو الذي سينقل اليمن من التخلف إلى التقدم في مختلف نواحي الحياة . ولذلك ركز جهوده في تأسيس المدارس التي تفتح آفاقاً واسعة ورحبة للتلاميذ من خلال الدروس العلمية الحديثة وبذلك يصبح الجيل الجديد قادراً على تحمل المسئولية في قيادة البلاد إلى بر الأرزهار، والرخاء ، والخير ، والتقدم ، وقبل هذا كله نشر أثار فجر الحرية في سماء اليمن .

### في مصر

قرر الأستاذ أحمد نعمان بعد الحج أن يلقي عصا الترحال في مصر أم الدنيا لينهل من ثقافتها الرائعة ، ومعرفتها الكثيرة ، وعلومها الحديثة . فحاول الدخول في جامعة فؤاد الأول ( القاهرة حالياً ) ولكنه رفض طلبه بسبب عدم وجود الشهادات العلمية التي تؤهله للقبول بها . وتوجه بعد ذلك إلى الأزهر الشريف للحصول على الشهادة العلمية منها ، ويحكي الأستاذ نعمان كيف امتحن في الأزهر ، فيقول : « ذهبت إلى الأزهر . استقبلت هناك وامتحونني . وكان الامتحان قراءة آيات من القرآن . أخذت أقرأ ، ولما قرأت دهشوا . وقالوا ما شاء الله براك الله فيك . قالوا لي : هل تعرف اللغة العربية والنحو ! . قلت لهم : أعرف ولكن ليس مثلكم . فقالوا لي : يجب أن تنتسب حالا ، وسجلوا اسمي ودخلت الأزهر » .

### مع جريدة « الشورى » الفلسطينية

وانطلق الأستاذ نعمان كالفراس في ميدان الصحافة ، وظهرت مواهب قلمه في صفحات جريدة ( الشورى ) ، وصاحبها ورئيس تحريرها الصحفي الفلسطيني الكبير أبو الحسن محمد علي الطاهر والذي أسماها في يافا بفلسطين سنة 1924م . وفي مكتب ( الشورى ) التقى بعدد غير قليل من الكتاب والأدباء الكبار مصريين وعرب ومنهم أمير البيان شكيب أرسلان الذي توثقت علاقته به لدرجة أن الأخير طلب من الأستاذ نعمان وهو في سويسرا أن يسافر إليه ليعلم أبناءه اللغة العربية ولكن حالت الظروف ذلك ، وكيفما كان الأمر ، فقد كسب الأستاذ نعمان ثقة وتقدير الصحفي الفلسطيني الطاهر . وكتب الأستاذ نعمان على صفحات « الشورى » الأوضاع اليمنية الصعبة والقاسية التي تعيشها من جراء حكم سلطة الإمام الاستبدادية، ولكن لم يذبل مقالاته باسمه ، فقد ظنت سلطات الإمام أن الذي يكتب هذه المقالات عن اليمن هو الصحفي أبو الحسن الطاهر . ويروي الأستاذ أحمد نعمان قصته مع جريدة « الشورى » ، فيقول : « ومنذ ذلك الوقت بدأت أكتب القصص عن أوضاع اليمن ، فيقوم أبو الحسن بنشرها في جريدته . وعرف في اليمن بأنه هو الذي ينشر هذه القصص ، وفرحت أنا بذلك لأنه يجنبني وأسررتي عقاب الإمام ومسؤوليه في المنطقة » . ويذكر الأستاذ نعمان عن رسوبه في امتحان الأزهر بسبب اهتمامه الكبير في كتابته عن اليمن في صفحات جريدة « الشورى » وصار الأستاذ نعمان من المحررين الرئيسيين الذين يعتمد عليهم أبو الحسن الطاهر في الإشراف على مقالات ، وكتابة عناوين الجريدة. ولكن في الأخير استطاع الأستاذ نعمان أن ينال إجازة الأزهر الشريف .

### مع رفيق درب النضال

وفي مصر جاء الشاعر رائد الحرية الشهيد محمود الزبييري وهناك التقى بالأستاذ نعمان وقد رأى أن الأوضاع والظروف السياسية في اليمن تتدهور يوماً بعد يوم . وأكبر الظن أن الأستاذ نعمان، والشاعر الزبييري ، قد عزموا أن يرسيوا في اليمن مبادئ الحرية وأخراج اليمن من عزلتها الخائفة ، وأن تأخذ بأسباب الرقي والتقدم. وعلى الرغم من أهمية اللقاء بين الأستاذ نعمان، والشاعر الشهيد محمود الزبييري في

يأتون إلى عقيدة ، وحسن ظن. منهم من يطلب الدعوة الصالحة ، ومنهم من يطلب النخعة، والمرأة الوالدة التي يصاب ابنها بحمي يأتون إلى لأكتب لابنها تميمة » .

### الحرب اليمنية الإنجليزية

وتمضي الأحداث السياسية سريعة ومتلاحقة في اليمن . فقد اندلعت الحرب بين السلطة الإمامية والسلطات الإنجليزية في عدن سنة 1927م ، وتمكن الإنجليز بسهولة من هزيمة الجيش الإمامي المظفر، والاستيلاء على الضالع . وكان من نتائج هزيمة الإمام يحيى في هذه الحرب أن سقطت هيئته أمام رعيته اليمنيين ، وأظهرت مدى تخبطه وضعفه في مواجهة القوى الخارجية من جهة ما جعل الإمام يقوي من قبضته على الناس ، وخاصة الذين تحوم حولهم الشبهات بأنه يتمردون على سلطاته، وكيفما كان الأمر فقد أمألت هزيمة الإمام وهو وجيشه المظفر لثام الحقيقة المرة للأستاذ نعمان وغيره من رواد الحركة الوطنية بأن اليمن غارق في مستنقع الجهل اليمنيين ، وأنهم لم يهتموا على سبلاته، وكيفما كان الحال حتى أذنبه، ويروي الأستاذ نعمان بعضاً من وقائع الحرب اليمنية الإنجليزية التي تدل بوضوح على مدى العجز والجهل الذي أصاب اليمنيين في تلك الفترة . وكان الإمام يأمر الناس عندما يرون الطائرات الإنجليزية المغيرة أن يتلوا سورة ( الفيل ) من السجدة . ويذكر الأستاذ نعمان في معرض حديثه عن عدن ، بأن أخاه ، كان منتقدا لكونه كان يعيش فيها . وكانت عدن نافذة اليمن على العالم، وكان اليمنيون من أبناء قرية ذبحان أو غيرها من قرى اليمن في عدن يفرقون الجرائد، والمجلات المختلفة ما وسع مداركهم الثقافية ، وأدركوا أن بلادهم التي تعيش في نفق مظلم ، وكل تلك الأمور التي عاصرها الأستاذ نعمان كونت في عقله ونفسه ضرورة خروج اليمن من ضيق التخلف إلى سعة التقدم والأزدهار.

### محمد أحمد حيدرة

في يوم من الأيام ، قدم من عدن إلى قرية ذبحان بقضاء الحجرية مدرس شاب اسمه محمد أحمد حيدرة . سيكون له تأثير عميق على حياة الأستاذ نعمان . كان هذا المدرس شاباً يتحلى بثقافة متفتحة، كان يُدرس التلاميذ الجغرافيا، والتاريخ، وأعطى لتلاميذه معلومات جديدة ومثيرة عن الأرض ، والشمس ، فكان يقول لهم أن الأرض كروية ، وأن الشمس ثابتة والأرض هي التي تدور . وعندما عرف الأستاذ أحمد نعمان أن محمد حيدرة يعرض على العود أقام الدنيا ولم يقعدوا . ويقول الأستاذ نعمان أنه شن حملة شعواء على الأستاذ حيدرة وكان من نتيجة ذلك أن « سرفهوا(سافر) إلى عدن ، ورجع الأولاد إلى المدرسة . وابتدأت النشاطات في المدرسة من رياضة ، وكشافة ، وأناشيد. حتى الحكومة كانت تقرر لهم الأناشيد . وكان الأستاذ حيدرة ، قد أتاهم بنشيد ، يقول فيها: الوطن ، الوطن ، يا شباب اليمن ، ما له من ثمن ، غير أرواحنا» . وعلى الرغم من رحيل المعلم حيدرة عن قرية ذبحان إلا أنه وضع بصمات مشرقة زلزلت الكثير من المفاهيم التقليدية والجامدة التي كان يعتقدونها ويؤمن بها الأستاذ نعمان ما يدفعه إلى إعادة المعلم حيدرة إلى القرية مرة أخرى، ويهدد من أرزه .

### مؤثرات ثقافية

ويروي الأستاذ أحمد نعمان بصراحة متناهية أنه بعد تفكير ، وتأمل عميقين، شعر بينه وبين نفسه بأنه مسرور من الذي فعله الأستاذ حيدرة . والحقيقة أن الأستاذ نعمان هبت عليه رياح التغيير أو عبارة أخرى مؤثرات ثقافية جديدة أثرت في رؤيته للحياة بصورة عامة ، والحياة السياسية بصورة خاصة . وفي هذا الصدد ، يقول الأستاذ نعمان : « أصبح المقصود عندي هو التطلع ومعرفة الجديد ، تعلم الجغرافية، والتاريخ وغير ذلك . وحين بدأت ، وقع في يدي كتاب(طبائع الاستبداد) لعبد الرحمن الكواكبي ، وكتاب (هدى الرسول) لمحمد أبو زيد ، وكنت قد انتقلت من كتب الفقه إلى مرحلة السنة إلى الفكر الإسلامي الخالص. الدراسة الأولى كانت دراسة إسلامية ولكن مشحوة بالخرافة، فانتقلنا إلى مرحلة الديانة الإسلامية المجردة من الخرافة » . ويصفي في حديثه : « وجاء كتاب (طبائع الاستبداد)، وكتاب (هدى الرسول)، وإذا بنا ننتقل إلى الحكم والسياسة إلى طبائع الاستبداد وطبائع المستبد . المستبد هو الذي يريد يضع قدمه على أفواه الملايين ... » وعندما أدرك الأستاذ أحمد خطاه الفلاح في حق الأستاذ حيدرة عمل على إعادته، وأعد له منزلاً لائقاً، وحشد له التلاميذ . « واطلق لهم الحرية، وقام هو بتدريس اللغة العربية بأسلوب حديث .

### روحه المتمردة

والسؤال الذي يطرح نفسه هو هل رياح التغيير الثقافي أو التيارات الثقافية التي هبت على الأستاذ نعمان هي من العوامل الرئيسية التي غيرت من رؤيته للأوضاع والظروف السياسية في اليمن أم أن هناك أسباباً أخرى ؟ . وأن الأستاذ نعمان ، كانت روحه الوثابة والقلقة ، والمتمردة الأرض الخصبة الصالحة وعلى استعداد كامل لتقبل بذور المعارضة الحقيقية والوقوف في وجه الاستبداد أيًا كان شكله أو لونه . وعندما صافحت عيناه الحياة الثقافية الجديدة زادت من قوة وصلابة روحه ونفسه الصمود والتصدي للظلم والظالمين . وهذه الميزة في الأستاذ أحمد سجدتها دائماً معه لا تفارقه ولذلك عندما ظهر له أن بعض الانتهازيين يريدون أن يستفيدوا من ثورة السادس والعشرين من سبتمبر المجيدة لأغراضهم الخاصة تصدى لهم بكل صلابة وقوة . والحقيقة أن الأستاذ نعمان كان يرى أن مصلحة اليمن فوق أي اعتبار ولذلك نجده يدخل في خصام شديد مع القيادة السياسية في الجمهورية العربية المتحدة ( مصر ) حينذاك وعلى رأسهم الرئيس جمال عبد الناصر ما دفع الأخير أن يرح به في السجن الحربي بمصر بسبب صراحته وجراته على تصرفات القيادة المصرية في أثناء حرب اليمن والذي كان يرى الأستاذ نعمان أن مصر عبد الناصر يجب ويتوجب أن تكون فوق

## العيد الذهبي

### لثورة سبتمبر المجيد

# الانتصار

## لإرادة الشعب والسموبها فوق كل

## المصالح والاعتبارات الذاتية والسلطوية

